

كان الغالب على خط أهل القرون الثلاثة الأولى هو الخط الكوفي ، وقد بدأ مزج الخط الكوفي بالخط الحديث في أواخر خلافة بني أمية وصدر الدولة العباسية . ( ذكر صاحب إعانة المنشى أن أول ما نقل الخط العربي من الكوفي إلى ابتداء هذه الأقلام المستعملة الآن ، في أواخر دولة بني أمية وأوائل خلافة بني العباس . قلت : على أن الكثير من كتّاب زماننا يزعمون أن الوزير أبا علي بن مقلة (١) هو أول من ابتدع ذلك ، وهو غلط ، فإننا نجد من الكتب بخط الأولين فيما قبل المائتين ما ليس على صورة الكوفي ، بل يتغير عنه إلى نحو هذه الأوضاع المستقرة وإن كان هو إلى الكوفي أميل ، لقربه من نقله عنه )) . هذا ما كان في الجانب الشرقي من الدولة الإسلامية . وكان في الجانب الغربي من الدولة خط قديم يسمى (( الإفريقي )) ، وأوضاعه كما يقول ابن خلدون (٢) قريبة من أوضاع الخط المشرقي . ولما تغلب الأمويون على الأندلس ظهر لهم هناك خط خاص هو المعروف بالخط الأندلسي ، ويظهر فيه بعض الميل إلى الاقتباس من الحروف الإفريقية ، وعندما تقلص ظل العرب والأفارقة من الأندلس وتلاشى ملكهم بها ، فانتشروا في عدوة المغرب وإفريقية منذ ظهور الدولة اللمتونية ، غلب خطهم الأندلسي على الخط الإفريقي القديم وعفى عليه ، إلا بقايا منه ظلت ببلاد الجريد التي لم يخالط أهلها كتاب الأندلس . وقد اكتسب الخط الأندلسي بالمغرب حياة جديدة وجمالاً جديداً ، ولكنه لم يلبث أن اضمحل ، وصار كما يقول ابن خلدون (١) : (( مائلاً إلى الرداء ، بعيداً عن الجودة ) . وليس يعنى هذا القول أن الخط الأندلسي انقرض وصار إلى الزوال ، لكنه يعنى أنه لم يعد الخط الغالب ، وإنما كان يصطنعه قليل من الناس . ويتضح من كلام ابن خلدون في مقدمته أن ماسماه المتأخرون (( الخط المغربي )) إنما هو الحالة التي صار إليها الخط الأندلسي الجميل . وابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ لم يعرف هذه التسمية – أعنى الخط المغربي – التي تدل على الخط الحديث الساذج المشتق من الأندلسي . والخط الأندلسي يمتاز عن الخط المغربي بما شيع فيه من الاستدارات وتداخل الكلمات وإطالة أواخر الحروف ، والعناية بتنسيق الكتابة وتحسينها . ويشتركان في طريقة النقط ، فالفاء لا توضع فوقها النقطة كما يضعها المشاركة ، وإنما تجعل في أسفل الحرف ، والقاف لا توضع فوقها نقطتان ، بل توضع فوقها نقطة واحدة . والترتيب الهجائي للحروف الأندلسية والمغربية يخالف طريقة المشاركة ؛ ومن هنا اختلف ترتيب بعض معاجمهم وكتب رجالهم عن ترتيب المشاركة ؛ يظهر ذلك لمن نظر في معجم ما استعجم للبكري نشرة وستنفلد ، ومشارق الأنوار للقاضي عياض . وهذا ترتيب حروفهم : ( أ ب ت ث ج ح خ د ذ ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و لاى )